

السيرة - رجال حول الرسول - الدرس (٢١-٥٠) : سيدنا سراقه بن مالك
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٣-٠١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

كيف نشبه الإسلام ؟

أيها الأخوة المؤمنون، مع الدرس الحادي والعشرين من دروس سيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورضوان الله عليهم أجمعين، صحابي اليوم سيدنا سراقه بن مالك .
يمكن أن نستنبط من سيرته، حقائق كثيرة تفيدنا في حياتنا المعاصرة، فالذي ينبغي أن نعلمه من السيرة، أن مواقف الصحابة مواقف مثالية، فإذا عرفنا بواطن مواقفهم، وأسرارها، يمكن أن نكون قد تعلمنا تفاصيل كثيرة عن الدين من خلال سيرتهم، قبل أن نبدأ الحديث عن هذا الصحابي الجليل، يمكن أن نشبه الإسلام بهم، مقسم إلى أربعة أقسام، القسم الأعلى هو القرآن الكريم، كلام الله عز وجل، القسم الثاني السيرة النبوية التي بيّنت، وفصلت القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

(سورة النحل الآية: ٤٣ . ٤٤)

كيف فسر النبي القرآن ؟

قد يسأل سائل، ما تفسير كتاب الله تعالى؟ الجواب: النبي عليه الصلاة والسلام فسره من خلال السنة النبوية، فالسنة هي التفسير العملي للقرآن الكريم، حتى إن الإمام الشافعي حينما قال في تفسير قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾

(سورة الجمعة الآية: ٢)

الحكمة هي السنة، إذاً القرآن الكريم جاء موجزاً، قال تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْتَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ

اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنَّ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ
وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا

(سورة النساء الآية: ٢٣)

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾

، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

((نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا))

[أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح عن جابر بن عبد الله]

للعلة نفسها، فالقرآن الكريم أمر بدفع
الزكاة، لكن النبي فصل نصاب الأموال،
نصاب الأبقار، نصاب الأغنام، فالسنة
تبيين، وتفصل، وتوضح، وتقيد المطلق،
وتطلق المقيد، وتعطي حالات خاصة،
والنبي عليه الصلاة والسلام نهى عن
قطع يد السارق بأثناء الحرب، مع أن
حكم قطع يد السارق ثابت بالكتاب
الكريم، قال تعالى:



﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(سورة المائدة الآية: ٣٨)

لماذا؟ لأن هذا الإنسان إذا تلبس بجرم السرقة، وعلم أن يده سوف تقطع ينتقل إلى العدو، يعطيهم
المعلومات، وينجو من قطع اليد، فحكم قطع يد السارق تعطل في أثناء الحرب .
النبي عليه الصلاة والسلام، قال:

((ادروا الحدود بالشبهات))

فلو أن إنساناً اشتبه عليه أن له حقاً عند زيد أو عبيد وسرق منه يسجن، ويعذر، ويحاسب، ويغرم،
لكن ما دام هناك شبهة فلا تقطع يده، السنة بينت، فالقرآن الكريم ستمئة صفحة، لكن النبي الكريم
ترك أكثر من ستمئة ألف حديث، كلها تبيين، وتفصل، وتوضح، وتقتن .



الصلاة والوضوء ذُكِرَا في القرآن بشكل
موجز، والنبي فصل كيف تتوضأ؟
فهناك خمس وسبعون سنة، أو ست
وثمانين سنة للصيام واردة في كتب
الفقه، القرآن قال:

سيدنا سراقه بن مالك

السنة النبوية الشريفة توصل إلى الطريق الصحيح

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(سورة البقرة الآية: ١٨٣)

السنة بينت الواجبات والسنن والمستحبات والمكروهات والمندوبات .
الجزء الثاني من الهرم، هو السنة القولية، لكن أفعال النبي أوسع من أقواله، فإذا درست السنة الفعلية التي فعلها النبي يمكن أن تكوّن الجزء الثالث من الهرم، قد لا نفهم السنة القولية إلا من خلال السنة الفعلية، صلوا كما رأيتموني أصلي، كان النبي عليه الصلاة والسلام يفعل كذا، ولا يفعل كذا، تبيّن أحواله، وحركاته، وسكناته، وسكوته، وهناك سنة فعلية، وإقرار.

النبي عليه الصلاة والسلام شخصٌ
واحد، لكن أصحابه كثير، صحابيٌّ غني
جداً، صحابيٌّ فقير جداً، صحابيٌّ شاب
صغير، صحابيٌّ شيخ فانٍ، صحابيٌّ
حاد المزاج، صحابيٌّ هادئ الطباع،
فكان أصحابه يمثلون نماذج بشرية، قال
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:



((سَتَرُونَ مِن بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدِّبِينَ عَضُّوا عَلَيْهَا
بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحَدَّثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))

[أخرجه ابن ماجه في سننه]

إذاً: القسم الرابع من الهرم: سيرة أصحابه، لأنها تمثل نماذج متعددة .
والذي أراه أن معرفة سيرة أصحاب النبي الذين رضي الله عنهم جزءٌ من الدين، فماذا فعل هذا الصحابي الذي رضي الله عنه، وأقرّ النبيُّ فعله؟ هذا فعله كامل، يمكن أن اقتدي به، فضلاً عن أن هناك آيات بيناتٍ يمكن أن تستنبط من أفعال رسول الله، وهذا الصحابي الجليل سيدنا سراقه بن مالك، يمكن أن نفهم من سيرته الشيء الكثير .

إليكم هجرة النبي وأبو بكر من مكة إلى المدينة حينما أمر مشركو قريش بقتله :

على كلٍ، عودة إلى هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم سرى نبأً هجرته في مكة كان نبأً غريباً، أن محمداً قد بارح مكة، مستتراً بجنح الظلام، فلم يصدّق زعماء قريش النبأ، واندفعوا يبحثون عن النبي في كل دارٍ من دور بني هاشم، وينشدونه في كل بيت من بيوت أصحابه، حتى أتوا منزل أبي بكر، فخرجت إليهم ابنته أسماء، قال لها أبو جهل: أين أبوك يا بنت؟ قالت: لا أدري أين هو

الآن؟ فرقع يده ولطم خدها لكمة أهوت بقرطها على الأرض، وصار يغلي غضباً، يعني كلهم يظنون أن محمداً في قبضتهم، وأنه بالتعبير الحديث الورقة الراححة التي في أيديهم، فجأةً غادر هذا النبي الكريم مكة المكرمة، انطلق زعماء قريش في كل اتجاه، يبحثون عن محمد صلى الله عليه وسلم، بعد أن أيقنوا أنه غادر مكة، وكان عند العرب قفاةً للآثار، أي خبراء، فنتبّع قفاةً الآثارِ آثارَ النبي فوصلوا من خلال آثاره إلى غار ثور، مكان اختباء النبي وصاحبه الصديق، قال خبراء الآثار حينما وصلوا غار ثور: والله ما جاوز صاحبكم هذا الغار، ولم يكن هؤلاء مخطئين فيما قالوه لقريش، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه داخل الغار، وكانت قريش تقف فوق رأسيهما . ماذا نستنبط من فعل النبي أثناء هجرته من مكة إلى المدينة ، وما الفرق بين جزاء التقصير وبين القضاء والقدر؟

ونحن هنا أمام مجموعة استدلالات دقيقة جداً، ونحن كمسلمين في أشد الحاجة إليها، والنبي الكريم حينما هاجر من مكة إلى المدينة، أخذ بكل الأسباب، فسار مساحلاً، عكس الطريق المألوف إلى المدينة، خرج في جنح الظلام، عيّن رجلاً يحمو الآثار، رجلاً يتتبع الأخبار، وشخصاً يأتيه بالزاد، فما من ثغرةٍ إلاّ وسدها، وما من احتياطٍ إلاّ وغطاه، ما من خطةٍ إلاّ وأحكمها، ومع ذلك وصل كفار قريش إلى الغار .



وماذا يعني أن يصل كفار قريش إلى الغار؟ السؤال موجّه إليكم، وأعينكم على الإجابة بسؤال فرعي، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام أخذ بهذه الأسباب واعتمد عليها، وفوجئ أن كفار قريش كانوا على باب الغار، فماذا يمكن أن يحصل؟ ينبغي أن ينهار النبي، لأنه أخذ بالأسباب واعتمد عليها، لكن النبي أخذ بالأسباب واعتمد على الله .

أقول لكم دائماً أيها الأخوة، ولو أعدتها كثيراً، هذه حقائق أساسية، ينبغي أن ترسخ عندكم، القرآن الكريم أعاد بعض القصص سبع عشرة مرة، إن أخذت بالأسباب واعتمدت عليها فقد أشركت، وإن لم تأخذ بها فقد عصيت، وخيطةً دقيق يبعدك عن الشرك، وعن المعصية، أن تأخذ بالأسباب، وأن تعتمد على الله، وهكذا فعل النبي، أخذ بكل الأسباب، واعتمد على الله تعالى.

التي يمكن أن تستنبط من فعل النبي أنه إن لم تكفِ الأسباب التي أخذتها لنجاتك، فعندئذ يتولى الله رعايتك بطرق خاصة، بخرق العادات، وإن لم يكفِ أخذُ الأسباب لبلوغ هدفك، فأنت أخذت بالأسباب تأدباً مع الله عز وجل، وطاعةً له، لكن هذا الأخذ بالأسباب إن لم يكفِ تولى الله عز وجل خرق العادات من أجلك، لأنك أخذت بالأسباب، وهذه مشكلة المسلمين اليوم .

يا أخي، هناك فرق تكنولوجي، وفرق حضاري، وفرق بالأسلحة كبير جداً بين المسلمين وبين أعدائهم، ما الحل إذا؟ أنت خذ بالأسباب، وتوكل على الله، والله يكمل، قال تعالى:

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ

الْحَكِيمِ

(سورة آل عمران الآية: ١٢٦)



وصل كفار قريش إلى غار ثور، وبقي النبي رابط الجأش، واثقاً من نصر الله عز وجل له، لم تلبث له قناة، وما خارت قواه، فأنت افعل ما تؤمر، وعليك أن تأخذ بالأسباب، فإن لم تكف الأسباب خرق الله لك العادات .

بالمناسبة لن يكون خرق العادات إلا بعد الأخذ بالأسباب، فأني إنسان قال: أنا مؤمن والحمد لله وهؤلاء كفار، الله لا يحبهم، إنه يحبني وحدي، هو سينصرني عليهم من دون أن أفعل شيئاً، هذا هو الغباء بعينه، وهذه هي المعصية بعينها، وهذا هو الجهل بعينه، إن أخذت بالأسباب ولم تكف الأسباب خرق الله لك العادات، فإن لم تأخذ بها دفعت الثمن باهظاً .



لذلك كنت أقول دائماً هذه العبارة وأنا متأثر بها: إن بعض المصائب التي تصيب المسلمين، بعضها يسمى جزاء التقصير، وبعضها يسمى قضاءً وقدرًا، فإن أخذت بكل الأسباب، وانتهت مهمتك وجاء شيء فوق إرادتك، وفوق قدرتك فهذا هو القضاء والقدر، أما إن لم تأخذ بها ، وجاء مكروه فإياك أن تسميه قضاءً وقدرًا، هو قضاء وقدر،

ولكن سمّه جزاء التقصير، وهو مرض يعاني منه المسلمون اليوم، ما أسعفوا المريض، يقولون لك: جاء أجله، هكذا كتب الله له، هذا الذي قصر في إسعافه ينبغي أن يحاسب كقاتل، فلا تدخل القضاء والقدر في تقصير المسلمين ، أهملنا العلاج فتفاقم المرض، أمّا كلام العوام، وكلام الجهلاء، وكلام السخفاء فمردود .

هل يدل فعل النبي وهو في الغار
والمشركون على بابه على أنه مشاعر
إنسانية أم هي مشاعر تدل على الإيمان
واليقين بالله؟

سيدنا الصديق لما رأى أقدام القوم
تتحرك فوق الغار دمعت عيناه، وفي
روايات تفصيلية أن قطرةً من دمع
الصديق وقعت على يد النبي، فانتبه
النبي وقال:



((أتبكي يا أبا بكر؟ قال : والله ما على نفسي أبكي، -وهو صادق- ولكن مخافة أن أرى فيك
مكروهاً يا رسول الله، -أنا واحد، لكن أنت أمة .

مرة سيدنا أبو حنيفة رأى طفلاً على مقربةٍ من حفرة، فقال:

((يا غلام إياك أن تسقط، كان هذا الطفل ذكياً ونبيهاً، فقال: أنت يا إمام إياك أن تسقط، أنا إن
سقطتُ سقطتُ وحدي، وأنت إن سقطت سقطت معك العالم))

ما من مصيبة في الدنيا أكبر من أن تهتز عندك القدوة، من أن يهتز المثل، من أن يخيب ظنك
بمن ظننته مثلاً أعلى، لذلك فسقوط الإنسان من السماء إلى الأرض أهون من أن يسقط من عينه
مثلُه الأعلى - .



فقال عليه الصلاة والسلام مطمئناً: لا
تحزن يا أبا بكر فإن الله معنا، -والله
هذه الكلمة (إن الله معنا)، كبيرة عظيمة،
فإذا كان الله معك فمن عليك؟ لو أن
الدنيا كلها اجتمعت عليك لم تستطع أن
تغبرَّ عليك، وإذا كان الله عليك فمن
معك؟ هناك أبناء يضرِّون آباءهم،
وهناك زوجات يكدنَّ لأزواجهن، وهناك
حوادث يندى لها الجبين، أكثر الناس

مودَّةً لك يقلب لك ظهر المجن إذا كان الله عليك فمن معك؟ وقد أثبت القرآن هذه الرواية، فقال عز
وجل:

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(سورة التوبة الآية: ٤٠)

فأنت كل بطولتك أن يكون الله معك، كن مع الحق وانتهى كل شيء، إذا كنت بطلاً كن مع الحق ، ولا تخش في الله لومة لائم .

فأنزل الله السكينة على قلب الصديق، -وفي الآية ملاحظة لطيفة،(فأنزل الله سكينته عليه)، بالضمير المفرد، لأن النبي ساكن بالأصل، والنبي مرتاح، السكينة احتاجها الصديق فقط، (فأنزل الله سكينته عليه)يعني على الصديق وحده، لأن النبي من الثقة بالله عز وجل حيث لم يهتر-

((فقال الصديق: يا رسول الله، لو نظر أحدهم إلى موطن قدميه لرأنا، فقال: يا أبا بكر، ما ظنك

بأثنين الله ثالثهما))

بل هناك في رواية ثابتة لم ترد هنا، يبدو أن عين أحد كفار قريش وقعت على عين الصديق، عين على عين، فقال:

((لقد رأونا، فقال عليه الصلاة والسلام: يا أبا بكر، ألم تقرأ قوله تعالى:

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾

(سورة الأعراف الآية: ١٩٨)

فإذا حفظ الله إنساناً فليس عليه بأس،
وإذا أحبَّ الله أن يبسرَّ لك أمراً تجده قد
تمَّ لك كلمح البصر بتيسير الله عزوجل،
فإذا كان الله عليك، فمن معك؟ لذلك من
الدعاء النبوي:

((اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً))

قال تعالى:



بطولة المؤمن أن يكون مع الحق

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ
بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾

(سورة الليل الآية: ٥ - ١٠)

قيل لأمية بن خلف: كان في الغار، فقال أمية بن الخلف ساخراً: ألم تر إلى هذا العنكبوت قد عشش على بابه قبل ميلاد محمد .

سؤال ورد :

وَنَسْأَلُ هَذَا السُّؤَالَ: لِمَاذَا يَنْصُرُ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا، كَرِيمًا، عَظِيمًا، وَيَنْصُرُ دِينَهُ بِخِيُوطِ عَنكَبُوتٍ؟ هَذِهِ هِيَ الْعِظْمَةُ، لِأَنَّ اللهُ عِزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ هُوَ رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ قَتْلَ انْتَهَى الدِّينِ، إِلَهُ عَظِيمٍ، بِيَدِهِ أَنْ يَزِلَّ مَنْ تَحْتَهُمُ الْأَرْضُ، بِيَدِهِ أَنْ يَنْسِفَ الْجِبَالَ نَسْفًا، بِيَدِهِ أَنْ يَجْعَلَ الْبَحْرَ طَرِيقًا ، بِيَدِهِ أَنْ يَجْعَلَ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ أَصْنَامًا فَجَاءَتْ، نَصْرَ دِينِهِ عَنِ طَرِيقِ الْعَنكَبُوتِ، وَعَنِ طَرِيقِ حَمَامَةٍ، هَذِهِ عِظْمَةُ اللهِ عِزَّ وَجَلَّ .



فَرَعُونَ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَنَّ طِفْلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَوْفَ يَقْضِي عَلَى مَلِكِهِ، فَالتدابير عنده سهلة جداً، إِذَا: سَنَدِيحُ كُلِّ أَطْفَالِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَمَا هَذَا الطِّفْلُ الَّذِي سَوْفَ يَقْضِي عَلَى مَلِكِهِ تَرَبَّى فِي الْقَصْرِ عِنْدَهُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾

(سورة القصص الآية: ٨)

هذه آيات الله عز وجل:

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى * وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾

(سورة طه الآية: ٣٦ . ٣٩)

فعل الله عجيب، كن مع الله فقط، لكن أبا جهل وكان عنده حاسة سادسة غريبة، قال: واللوات والعزى إني لأحسبه قريباً منا، يسمع ما نقول، ويرى ما نصنع، ولكن سحره ران على أبصارنا، والموقف محير، أنا أشعر أن محمداً في الغار .

ما هو موقف سراقه بن مالك حينما سمع بهذه الجائزة الثمينة على من يقبض على النبي حياً كان أم ميتاً؟

حينما يئست قريش أن تقبض على النبي وضعت جائزة مئة رأس من الإبل، أقدّر أن ثمنها الآن مئة وخمسون ألف ناقة، مائة وخمسون ألف ضرب مئة، يعني خمسة عشر مليون ليرة لمن يأتي به حياً أو ميتاً، وسراقه صحابي هذا الدرس، سراقه بن مالك كان في بعض أندية قومه قريباً من مكة

فإذا برجل يدخل عليهم، ويذيع فيهم نبأ
الجائزة التي بذلتها قريش لمن يأتيها
بمحمد حياً أو ميتاً، رقم يغري، ثروة
طائلة، من أجل قتل محمد قضية سهلة،
قال: فما كاد سراقه يسمع بالنوق المئنة
حتى سال لعابه، واشتد عليها حرصه،
ولكنه كان ذكياً جداً، فضبط نفسه، ولم
يقف بكلمة واحدة حتى لا يلفت نظر
الآخرين، وقبل أن ينهض سراقه من



مجلسه، دخل على مكان وجوده رجل، يقول: والله لقد مرّ بي الآن ثلاثة رجال، وإنني لأظنهم محمداً
وأبا بكرٍ ودليلهما، فقال سراقه: إنهم بنو فلان مضوا يبحثون عن ناقة لهم أضلوها، يريد أن يصرف
الناس عن هذه الجائزة، فقال الرجل: لعلمك كذلك، وسكت .

مكث سراقه قليلاً حتى لا يثير اهتمام أحد، فلما دخل القوم في حديثٍ آخر انسل من بينهم، ومضى
خفيفاً مسرعاً إلى بيته، وأسرّ لجارسته بأن تخرج له فرسه في غفلة من أعين الناس ، وأن تربطه له
في بطن الوادي، وأمر غلامه بأن يعد له سلاحه، وأن يخرج به خلف البيوت حتى لا يراه أحد، وأن
يجعل السلاح في مكانٍ قريبٍ من الفرس، ولبس سراقه درعه، وتقلد سلاحه، وركب صهوة فرسه،
وظفق يغدّ السير ليدرك محمداً قبل أن يدركه أحدٌ سواه، ويظفر بجائزة قريش .

لم لم يتابع سراقه بالإلحاق بالنبي وما هو العهد الذي أخذه من رسول الله ؟

من السذاجة أن تظن أن الله يسلم أوليائه إلى أعدائه، ومن الحق، ومن الغباء، وكان سراقه بن
مالك فارساً من فرسان قومه، طويل القامة، عظيم الهامة، بصيراً باقتناء الأثر، من خبراء الآثار،
صبوراً على أهوال الطرق، وكان إلى ذلك أريباً، لبيباً، شاعراً، وكانت فرسه من عتاق الخيل، مضى
سراقه يطوي الأرض طياً، لكنه ما لبث أن عثرت به فرسه وسقط عن صهوتها، فتشاعم، وقال:

((ما هذا؟ تباً لك من فرس، وعلا ظهرها، غير أنه لم يمض بعيداً حتى عثرت به مرةً أخرى، فازداد
تشاوماً، وهمّ بالرجوع، فما رده عن همّه إلا طمعه بالنوق المئنة، فلم يبتعد سراقه كثيراً عن مكان
عثور فرسه حتى أبصر محمداً وصاحبه، فمدّ يده إلى قوسه، ولكن يده جمدت في مكانها، -اليد
بيد من؟ بيد الله .

ذلك بأنه رأى قوائم فرسه تسيخ في الأرض، شيء غريب! فدفق الفرس فإذا هي قد ساخت ثانيةً
في الأرض، كأنما سمرت بمسامير من حديد - فالتفت إلى النبي وصاحبه، وقال بصوت ضارع،
وقد أدرك هذا الإنسان لا بعقله ولكن بفطرته أن خالق الكون مع محمد صلى الله عليه وسلم، هذه

الفطرة: يا هذان، ادعوا لي ربكما أن يطلق قوائم فرسي، -وهذا يذكّرنا بفرعون، ماذا ادعى؟ ادعى بأنه إله، قال تعالى:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾

(سورة النازعات الآية: ٢٤)

ولما أصيب قوم فرعون بمصائب عديدة ما كان موقف فرعون من موسى:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَنُنْزِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

(سورة الأعراف الآية: ١٣٤)

يعني أنّ ادعاه سخافة، ودجل، أدرك سراقته بفطرتة أن هذا رسول - ثم قال: ولكما عليّ أن أكفّ عنكما، فدعا له النبي فأطلق الله له قوائم فرسه فأطلقت، لكنه تذكر مئة ناقة، فما لبثت أطماعه أن تحركت من جديد، فدفع فرسه نحوهما فساخت قوائمه هذه المرة أكثر من ذي قبل، -وسعي النبي لا يكفي لنجاته من سراقته رغم توكله، فماذا فعل الله عز وجل؟ خرق العادات، ونصر نبيه، وهذا هو محور الدرس، فأنت عليك أن تأخذ بالأسباب، فإن لم تكف خرق الله لك العادات، أما إن لم تأخذ بالأسباب لم يخرق الله لك العادات، وهذه للنبي معجزة، ولغيره من المؤمنين كرامة .



وفي روايات كثيرة، أن سيدنا الصديق كان يمشي مرةً عن يمينه، ومرةً عن شماله، ومرةً أمامه، ومرةً ورائه، فالنبي الكريم تحير، قال:

((ما هذا يا أبا بكر؟ قال: والله يا رسول الله، أخاف أن تطلب من خلفك فأمشي من ورائك، وأخاف أن يأتي الطلب من أمامك فأمشي أمامك، وعن يمينك أكون عن يمينك، -وأنا لا أعتقد أنّ إنساناً

على وجه الأرض يحب إنساناً كحبّ الصديق لرسول الله، ومع ذلك حينما مات عليه الصلاة والسلام، قال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ما هذا التوحيد؟ وكان سيدنا الصديق حريصاً على ألاّ يُصاب الرسول عليه الصلاة والسلام بأذى - وقال له مرة ثانية: والله ما على نفسي أخاف ولكن أخاف عليك، إن أهلك أهلك وحدي، وإن تهلك تهلك أمة))

هذا كلام سيدنا الصديق - .

للمرة الثانية: فاستغاث بهما، وقال: إليكما زادي، الآن يريد أن يقدم دليلاً آخر، إليكما زادي، ومتاعي، وسلاحي، ولكما عليّ عهد الله أن أردّ عنكما من ورائي من الناس، -لأنه أول مرة كذب،

وخان العهد، حتى يؤكد عهده الجديد- قال: خذوا مالي، زادي، ومتاعي، وسلاحي، ولكما عليّ عهد الله عز وجل أن أرد عنكما من ورائي من الناس، فقالا له: لا حاجة لنا بزادك، ومتاعك، ولكن رد عنا الناس، ثم دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فانطلقت فرسه، فلما همّ بالعودة ناداهم قائلاً: تزيثوا، فو الله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه

فقال له النبي: ما تبتغي منا؟ فقال: والله يا محمد، إني لأعلم أنه سيظهر دينك، ويعلو أمرك فعاهدني إذا أتيتك في ملكك أن تكرمني، واكتب لي بذلك، أريد وثيقة، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم الصديق فكتب له على لوح عظم، ودفعه إليه، ولما همّ بالانصراف، قال له النبي عليه الصلاة والسلام، ويبدو أن هذا وحي من الله: كيف بك يا سراقاً لو



لبست سوارى كسرى؟ فقال سراقاً في دهشة: كسرى ابن هرمز؟- معنى ذلك أن لكسرى شأنًا كبيراً، كانت دولة الفرس من العظمة ما لا يُتصوّر، والعرب كانوا ضعافاً، وهم قبائل متناحرة، متباغضة جياح، عراة، ما الذي أعزهم؟ الإسلام، أعزهم الله بالإسلام، ومهما نبتغي العزة بغيره أدلنا الله- قال رسول الله: نعم كسرى بن هرمز))

وهذا من إعلام الله له، وليست من عنده، قال تعالى:

﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسُنُّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾

(سورة الجن الآية: ٢٦ . ٢٧)

ما كان للنبي عليه الصلاة والسلام أن يعلم بنفسه أن هذا الإنسان الذي جاء يلاحقهما سوف يلبس سوارى كسرى وتاجه .

هل أفشى سراقاً السر عن رسول الله ومتى أذاع بخبر النبي ؟

هذه المرة أصبح سراقاً وفيّاً، وعاد أدراجه، فوجد الناس قد أقبلوا ينشدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهم: ارجعوا فقد نفضت الأرض نفضاً بحثاً عنهم، فلا تغلبوا نفسكم، لم أعثر على أحد، وأنتم لا تجهلون مبلغ بصري بالأثر



فرجعوا، ثم كتم خبره مع محمد وصاحبه حتى أيقن أنهما بلغا المدينة، وأصبحا في مأمنٍ من عدوان قريش، عند ذلك أذاع الخبر، فلما سمع أبو جهل بخبر سراقه مع النبي صلى الله عليه وسلم، وموقفه منه لأمه على تخاذله، وعنفه، وعنف جنبه، وتقويته الفرصة . قال له: أبا حكيم، والله لو كنت شاهداً لأمرٍ جوادي إذ تسبخ قوائمه لعلمت، ولم

تشكك بأن محمداً رسول ببهانٍ، فمن ذا الذي يقاومه، ثم إن الأيام دارت، والنبي عليه الصلاة والسلام الذي خرج من مكة طريداً، شريداً، مستتراً بجنح الظلام، يعود إليها سيداً، فاتحاً، تحفُّ به الألوف المؤلفة من بيض السيوف، وإذا بزعماء قريش الذين ملؤوا الأرض عنجبيةً، وغطرسةً، وكبراً، واستعلاءً، يقبلون على النبي خائفين واجفين، يسألونه الرؤفة، ويقولون: ماذا عساک أن تصنع بنا يا محمد؟ فيقول عليه الصلاة والسلام في سماحة الأنبياء:

((أذهبوا فأنتم الطلقاء))

متى أسلم سراقه بن مالك ؟

عند ذلك أعدّ سراقه بن مالك رحلته، ومضى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليعلن إسلامه بين يديه، ومعه العهد الذي كتبه له قبل عشر سنوات، قال سراقه:



((لقد أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة، فدخلت في كتيبة الأنصار، فجعلوا يقرعونني بكعوب الرماح، ويقولون: إليك إليك، ماذا تريد؟ فما زلتُ أشقُّ صفوفهم حتى غدوتُ قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو على ناقته فرفعت يدي بالكتاب، وقلت: يا رسول الله، أنا سراقه بن

مالك، وهذا كتابك لي، فقال عليه الصلاة والسلام: يوم وفاء وبر، ادنُ، فأقبلت عليه، وأعلنتُ

إسلامي بين يديه، ونلتُّ من خيره، وبره، ولم يمضِ على لقاء سراقَةَ بن مالك برسول الله غير زمن يسير حتى اختار الله نبيه إلى جواره .

حزن سراقَةَ أشدَّ الحزن، وجعل يتراعى له ذلك اليوم الذي همَّ بقتله، من أجل مئة ناقة))

وكيف أن نوق الدنيا كلها قد أصبحت اليوم لا تساوي عنده قلامة من ظفر النبي؟ هذا الإيمان، قال أبو سفيان لخبیب بن عدي:

((أتحبُّ أن تكون مع أهلك ومحمد مكانك يُصلَّب؟ قال له: والله ما أحب أن أكون في أهلي وولدي

وعندي عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله بشوكة))

الإسلام كله حب، وإيثار، وإخلاص، ووفاء، وحينما لم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولم يبق من القرآن إلا رسمه، وحينما يفرغ الدين من قيمه، ويصبح طقوساً، وعباداتٍ جوفاء، فاقراً على المسلمين السلام.

هل لبس سراقَةَ تاج كسرى وسواريه وفي أي عهد من الخلفاء ؟

ثم دارت الأيام دورتها كراً أخرى، وآل أمر المسلمين إلى الفاروق رضوان الله عليه، وهبت جيوش المسلمين في عهده المبارك على مملكة فارس، فطفقت تدكُّ الحصون، وتهدم الجيوش، وتهز العروش، وتحرز الغنائم .

وفي ذات يوم من أواخر أيام خلافة عمر قدم على المدينة رسل سعد بن أبي وقاص يبشرون خليفة المسلمين بالفتح، ويحملون إلى بيت مال المسلمين خمس الفيء الذي غنمه الفاتحون ، فلما وضعت الغنائم بين يدي عمر نظر إليها في دهشة، فقد كان فيها تاج كسرى المرصع بالدر ، وثيابه المنسوجة بخيوط الذهب، وشاحه المنظوم بالجوهر، وسواراه اللذان لم تر العين مثلهما قط، ومالا حصر له من النفائس الأخرى، فجاء عمر يقلب هذا الكنز الثمين بقضيبٍ كان بيده، ثم التفت إلى من كان حوله، وقد اغرورقت عيناه بالدموع، وإلى جانبه سيدنا علي، فقال له:

((ما الذي يبكيك؟ أعجبت من أمانة هؤلاء؟ فقال له الفاروق: إنَّ قومًا أدُّوا هذا لأمناء حقًّا، -تاج

كسرى ثمنه مئات الملايين، لو أن هذا الذي أخذه ذهب به إلى أنطاكية لعاش أغنى الأغنياء-

قال له: يا أمير المؤمنين، لقد عففتَ فعفُّوا، ولو وقعتَ لوقعوا))



دعا الفاروق رضوان الله عليه سراقَةَ بن مالك فألبسه قميص كسرى، وسراويله، وقبائه ، وخفيه، وقلده سيفه، ومنطقته، ووضع على رأسه تاجه، وألبسه سواريه، عند ذلك هتف المسلمون الله أكبر الله

سيدنا سراقَةَ بن مالك

المؤمن الحق شديد الأمانة ولو انتمن على أموال الدنيا

أكبر، لقد تحققت نبوءة النبي عليه الصلاة والسلام، لكن هذه النبوءة ليست من عند النبي، إنما هي وحي أوحى إليه، ثم التقت عمر إلى سراقَة، وقال:

((بَخِ بِخِ يَا سَرَاقَةَ أَعْرَابِيٍّ مِنْ مَدَلَجٍ عَلَى رَأْسِهِ تَاجَ كَسْرِدٍ، وَفِي يَدَيْهِ سِوَارَاهُ، ثُمَّ رَفَعَ عَمْرُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ مَنَعْتَ هَذَا الْمَالَ لِرَسُولِكَ، وَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنِّي، وَأَكْرَمَ عَلَيْكَ، وَمَنَعْتَهُ أَبَا بَكْرٍ، وَكَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنِّي، وَأَكْرَمَ عَلَيْكَ، وَأَعْطَيْتَنِيهِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَعْطَيْتَنِيهِ لَتَمَكَّرَ بِي، ثُمَّ لَمْ يَقُمْ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى قَسَمَهُ بَيْنَ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ))

وانتهى الأمر .

هكذا كان أصحاب النبي، وهكذا كان عطاؤهم، وورعهم، وتواضعهم، وهذه بعض الحقائق التي يمكن أن نستنبطها من قصة هذا الصحابي الجليل سراقَة ابن مالك .

والحمد لله رب العالمين